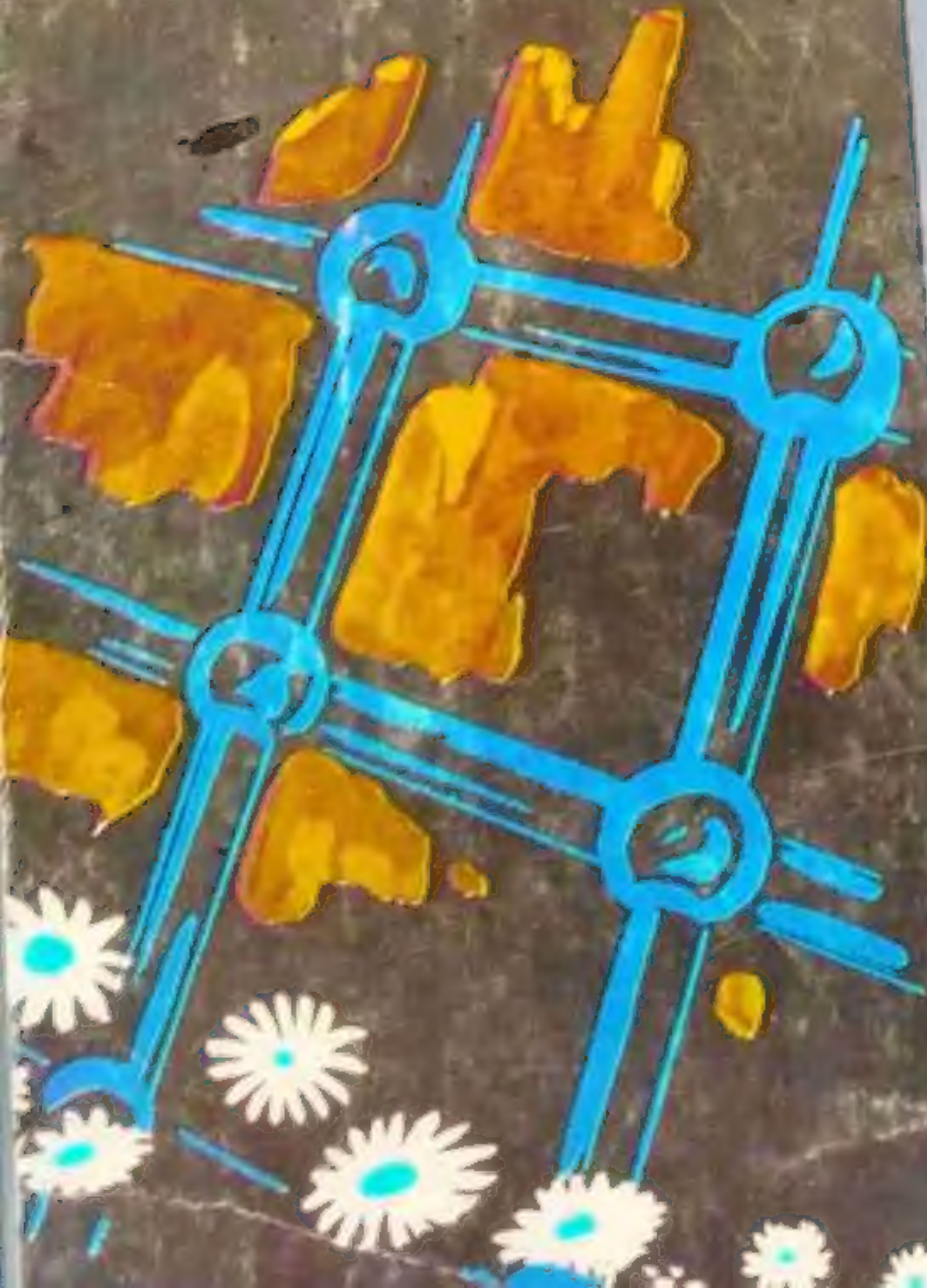


أحمد الصبغاني الخليلي



مكتبة المشارف

احصاد السجين



574

الحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

محمود باطن
قصر البخاري

مدرسة

Handwritten text in Urdu script, likely a signature or a short note, located in the lower right quadrant of the page.

حصاد السجن

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت

أحمد الصبياني النجفي

حَصْنُ السَّجْنِ

وهو ثمار سجن الناظم مدة ثلاثة وأربعين يوماً
في سجن الأمن العام الافرنسي ببيروت بأمر
السلطات الانكليزية سنة ١٩٤١ عند دخولها
لبنان .

مكتبة المحاريف
بيروت

آثار المؤلف

- ديوان » الامواج
» اشعة ملونة
» الاغوار
» التيار
» الحان اللهب
» هوا جس
» حصاد السجن
» شرر
» اللفحات
» الشلال

الإهداء

الى كل سجين ومرسع للسجن
في سبيل الحرية والواجب

احمد الصافي النجفي

مقدمة

بقلم الأديب الكبير الأستاذ رثيف خوري

وهي دراسة تحليلية عن شعر السجون عند
شعراء العرب ثم عن ديوان «حصاد السجن»



لئن اسجن فما الأقفاص إلا
لليث الغاب ، أو للعندليب
ألا يا بلبلا سجنوك ظلماً
فنحت لفرقة الغصن الرطيب
ويا ليث الشرى سجنوك مثلي
لدن خافوا وثوبك أو وثوبي

الصافي

فإذا لم أحترق أنا

ولم تحترق انت

ولم يحترق هو

فكيف يخرج من الظلمات نور ؟

ناظم حكمت

« سجين اثني عشر عاماً »

« حصاد السجن »

عهدنا بالحصاد يكون **حياً** فاذا هو هنا
أزاهير وثمار من صور وأفكار وعواطف نبتت
ونضجت بين جدرانٍ أربعة موحشة ، في
مضبات وصروح من نفس الشاعر ، فضمها ودفع
إليها مرتبة على هذه الأوزان والقوافي وفيها
من غذاء الذوق وقوة الروح ما يكون في الحب
من طعام الأبدان .

وليس بغريب أن يكون السجن وجدرانه
حقلاً « يحصد » فيه الشاعر مثل هذا الحصاد
المعنوي المبارك . فقديماً كانت السجون مهداً
لولادة الروائع تتمخض بها النفوس الشاعرة .
وأي مجال أحق من هذا المجال بأن نستعرض فيه

ولو مسرعين بعض تلك الروائع التي كان من
حظها قديماً في تاريخ الأدب العربي ان تبصر
النور في دياجير السجون ...

عدي بن زيد العبادي

ولعل اول شاعر عربي في قافلة السجناء
من ذكرهم تاريخ الأدب : عدي بن زيد . كان
تيمياً نصرانياً من اهل الحيرة ، ولذلك عرف
بالعبادي^(١) توفي في الجاهلية حوالي السنة ٥٩٠م ،
قبل الهجرة بنحو خمسة وثلاثين عاماً . وكان
من جلة العلماء ورجال السياسة والفروسية
في عصره ، أتقن الفارسية مع العربية وبرع في
ركوب الخيل والرمي بالنشاب واللعب
بالصوالة ، وتولى المناصب الرفيعة في بلاط
الأكاسرة في المدائن ثم في بلاط المناذرة في

١ - العباديون : لفظ أطلق على نصارى الحيرة .

الحيرة . فكتب بالعربية في ديوان كسرى ابن
شروان ثم في ديوان ابنه هرمز ، حتى استوزر
الملك النعمان وزوجه ابنته هنداً ، ولكن
الوشايات والدسائس ، أوغرت عليه صدر الملك
فاعتقله وحبسه في « الصننين » ، ثم قتله قتلة

١ - من الاماكن القريبة الى الحيرة . ولا يزال ثلث
مرتفعاً قائماً الى الآن بالقرب من الحيرة ويسمى الصنين.

وهذا الصنين هو الذي يقول فيه الشاعر الجاهلي وهو
يتمنى نزهة مترفة من العهد القديم حيث يقول :

ليت شعري متى تحب بي النا

قة بين السدير فالصنين

محقباً ركوة وخبز رقاق

وبقولا وقطعة من نون

وحشية . وقد نظم عدي شعره في هذه المدة
بين دخوله السجن ومصرعه . وشعره كله شكوى
موجعة يرفعها الى النعمان ، وتذكير له بما خدمه
فأخلص في خدمته ، وتأكيده لبراءته مما نسب
اليه . ويجيد عدي في هذه الأغراض كلها
فبقول من قصيدة بائية :

ألا من مبلغُ النعمان عني
وقد تُتهوى النصيحة بالمغيب
أحظيَّتي كانَ مشكلاً وقيداً
وُغلاً ، والبيان لدى الطبيب
أناك بأنني قد طال حبسي
ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفر الأرجاء ، فيه
اراملٌ قد هلكن من النحيب

فان أظلم فقد عاقبتموني
وإن أظلم فذلك من نصيبي !
ويقول واصفاً زيارة امه له في السجن ومحرصاً
اهله على إنقاذه :

ولقد ساءني زيارة ذي قربي
حبيبٍ لودنا مشتاقٍ
ساء ما بنا تبين في الأي
دي وإشفاقها الى الأعناق
فاذهبي يا أمم غير بعيد
لا يؤاتي العناقُ مَنْ في الوثاق
واذهبي يا أمم انت يشا الله
ينفّس من ازم هذا الخناق

أو تكن وجهة فتلك سبيل
الناس، لا تمنع الختوف الرواق
يا أبا مسهر فابلغ رسولا
اخوتي ان أتيت صحن العراق
ابلغن عامراً وابلغن اخاه
انني موثق شديد وثاق
في حديد مضاعف وغلول
وثياب منضحات خلاق
فاركبوا في الحزام فكثوا اخاكم
ان عيراً قد جهزت لانطلاق
ولكن أجود ما نرى عند عدي من شعير
نظمه في السجن ذاك الذي يخلص فيه الى

استعراض عز الملوك وجبروتهم وكيف انقرضوا
على تقلب الزمن وأحداثه ، فيقول :

اين كسرى ، كسرى الملوك ، انو
شروان ، أم اين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك ال
روم لم يبق منهم مذكور
الى قوله :

ثم صاروا كأنهم ورق جف
فألوت به الصبا والدبور

وفي هذا البيت الاخير صورة رائعة لتمثيل
فناء الاشياء . وربما بلغ حظ هذه الصورة من
الحياة ان يوشك قارئ البيت ان يشهد بأم عينيه

ويسمع بأذنه ، من خلال اللفظ ، كيف يعلّس
هذا « الورق الذي جف » وكيف يخش في مهب
الرياح .

ومع ذلك فإن شعر عدي يغلب عليه
الانكسار والاستسلام ، وتعوّزه روح التحدي
والعناد للاضطهاد .

الخطيئة

فاذا اقبلنا على عصر الراشدين لقينا في قافلة
الشعراء الذين سجنوا ، ونظموا في السجن ،
شاعراً محبب الشخصية على علاقتها ، هو الخطيئة...
اعتقله الفاروق عمر بن الخطاب وأودعه السجن
عقوبة له على ما نهش بلسانه من اعراض بعض
القوم طمعاً في كسب العطاء . فأنشد الخطيئة

لهذه المناسبة أبياتاً رقيقة ذكر فيها بنياته ، وما
يقاسين من حرمان وهوان ، واستعطف الخليفة
حتى رحمه وأطلقه . وهذه أبيات الخطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَّخٍ
زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم
من عرضِ داوية يعمى بها الخبرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعرٍ مُظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر !

وما كان مثل هذا الشعر العذب ليقطر من
نفس الخطيئة لولا بنياته ولولا أن منعه السجن
عنهن !

يزيد بن مفرغ

ولكننا حين ندخل العصر الاموي نظفر من
شعر السجون بما هو حقاً أوفر مادة وانفس معنى
من كل هذا الذي سبق لنا ان حظينا به .
ولئنككتف بشاعر واحد يُعد من الفحول في هذا
الباب ، نقصد يزيد بن مفرغ . وللقارىء ان
يستغرب هذا الاسم وله ان يعجب كيف عددناه
من فحول شعراء السجون . غير ان القارىء لن
يلبث حتى يقتنع بصواب رأينا فيه . فان الخمول
الذي احاط ، من بعد ، باسم يزيد بن مفرغ إنما
كان لسخط الاوساط الحاكمة عليه . وإن فقدان
شعره - إلا بقية مذرذرة في بطون الكتب ،

أشبهه بأخشاب السفينة المحطمة - إنما كان كذلك
نتيجة لهذا السخط الرسمي الذي صرف عنه
الرواة خشية الحاكمين أو مسaire لهم.

كان يزيد بن مفرع ، هذا ، حميرياً من عرب
اليمن ، اتصل بواحد من أبناء زياد بن أبيه اسمه
عباد. ووُلي عباد إقليم سجستان فصحبه الشاعر
إلى موضع عمله . ولكن الجوَّ سرعان ما فسد بين
الرجلين ، فعباد والي ، وشقيقه عبيد الله وال
هو الآخر يتصرف بشؤون العراق ، ومرتبة
زياد بن أبيه وأبناء زياد معروفة في الدولة الأموية
بعد أن سبق لمعاوية أن اعترف بزياد أخاً له .
وما كان يزيد بن مفرع ليرضى من عباد أن
يستطيل عليه أو يهمله . فهجاء وسخر من لحيته

وكانت عزيمة جداً كأنها جوالق ، دخلتها
لريح يوماً فنفستها فقال فيها ابن مفرغ :
ألا ليت اللحى كانت حشيشاً

فنعلفها خيول المسلمين !
فلما سمع عبّاد بالهجاء أضمر له الشر ،
وحرك على الشاعر قوماً لهم عليه دين فرفعوا
عليه الدعوى ، فحبسه عبّاد حتى يدفع الدين .
وإذا بالشاعر يضطر أن يبيع فرسه وسلاحه
وأثاثه وغلاماً وجارية كان يهواها . واشترى عبّاد
الغلام والجارية . وأمر بتوزيع مال الشاعر على
دائنيه . ثم أطلق الشاعر ليعود من حيث أتى
خاوي الوفاض بادي الأنفاس . فانطلق ابن
مفرغ الى العراق ثم الى الشام يتنقل في المدن

ويرسل الأشعار في هجاء زياد وأولاده . وتحدث
الناس كثيراً بهذا الهجاء ، وبلغ مسامع عبيد الله
بن زياد في البصرة ، فبث عيونه واعوانه في
طلب الشاعر . ولم يكن يزيد يحفل ما ينتظره
إذا وقع في قبضة عبيد الله . فأقام هارباً ما وسعه
الهرب . ثم سعى في أن يستجير بهذا أو ذاك
من وجوه زمانه ، وكلهم يخشى أن يحيره على
عبيد الله ، حتى لقي آخر الأمر رجلاً يقال له المنذر
العبدى كانت بنته زوجة لعبيد الله . على أن
عبيد الله لم يكرم عمه فكبس داره ، وأخرج
الشاعر فعذبه بألوان العذاب وشهره بأقبح ضروب
التشهير . قرنه بهرة وخنزيرة وأطافه في الأسواق
ومن حوله الصبية يعبثون به ، وسجنه مدة

وأشبع السياط وأطعم حديد القيد من لحمه وكسر
استانه ، ثم اعاده الى أخيه عباد في سجستان .
ومما يحكى أن الشاعر كان قد كتب بالفحم على
جدران بعض الخانات التي مر بها في طريق
عودته إلى سجستان اشعاراً من هجوه في زياد
وأولاده ، فأمره من كان يخفّره من شرطة عبيد الله
أن يحكها باظافره فحكها حتى برت وتهرأت
اطراف انامله وبضت دماً . فاستعظمت البانية
هذا الانتقام البشع ، ورفعوا الأمر الى معاوية في
الشام فاستقدم يزيد بن مفرغ وعنفه ثم خلى له
سبيله وخيّرّه في المقام فاختار ارض الموصل وبها
كانت وفاته سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) .
أما شعره في السجن فلم نعثّر منه الا على

قصيدة لامية نظمها وهو في سجن البصرة لدى
عبيد الله بن زياد . وهي قصيدة قوية في معناها
تشف عما أوتي هذا الشاعر المتمرد من قوة النفس
وتحدي الاضطهاد . تساءل في مطالعها : كيف نوم
الأسير في قيوده ، ثم ذكر جاريته التي حيل
بينه وبينها ، وفرسه وسلاحه ، فتألم للذكرى ،
وثار به إباؤه فنفى أن يكون اتى امرأ دنياً ،
ثم أسرع الى مخاطبة الوالي عبيد الله فعيثه كيف
نكّل به ذلك التنكيل القبيح ، وأنذره بأن
آثار ذلك التنكيل كله عرّض يزول بينما يخلد
الشعر الذي هجاه به وترسخ وصمته في ذكراه
ابد الدهر . ولعمري إنه من اروع المعاني التي
خاطب بها شاعر سلطاناً ظالماً . قال يزيد بن
مفرغ :

دارَ سلمى بالخبث ذي الأطلال
كيف نوم الأسير في الأغلال ؟
أين مني السلام من بعد نأي ؟
فارجعي لي تحيتي وسؤالي
أين مني نجائي وجيادي
وغزالي ؟ سقى الله غزالي !
أين ؟ لا أين ، 'جنتي وسلاحي
ومطايا سيرتها لارتحالي
لا وصومي لربنا وزكاتي
وصلاتي أدعو بها وابتهالي
ما أتيت الغداة امرأً دنيئاً
ولدى الله كابر الأعمال

أيها المالك المرهَّبُ بالقتل
بلغت النكالَ كل النكال
فأخش ناراً تشوي الوجوه ويوماً
يقذف الناس بالدواهي الثقال
قد تعديت في القصاص وأدر
كت ذحولاً لمشرٍ اقتال
وكسرت السن الصحيحة مني
لا تذلني فمنكر اذلال
وقرنتم مع الخنازير هراً
ويميني مفلولة وشمالي
وأطلتم مع العقوبة سجناً
فكم السجن ؟ أومتى إرسالي ؟

يفسل الماءُ ما صنعتَ وقولي
راسخ منك في العظام البوالي

ليت أني كنت الحليف للخصم
وُجذام وطّيءٍ الاجيال

بدلاً من عصابة من قريش
أسلموني للخصم عند النضال

خذلوني وهم لذاك دعوني
أيس حامي الذمار بالخذال

ويبدو من الثلاثة الأبيات الأخيرة ان الشاعر
اقدم على هجو زياد وأولاده بإيعازٍ وتأيدٍ من

قريش . ولكن قريشاً تخلت عنه عندما ظفر به
الوالي وصبّ عليه عذابه .

فهذه هي قصيدة ابن مفرّغ . مثال نادر
من شعر السجون في الأدب العربي القديم لأنها
تشق نغمةً جديدة غير نغمة الانكسار
والاستعطاف وتعزية النفس بأن كل شيء زائل
وكلُّ سرور صائرٌ الى نكد وبلاء .

عبدالله الطالبي

وفي الفترة بين انهيار الامويين واستتباب
الأمر للعباسيين يمرّ شاعر عربي في قافلة شعراء
السجون ما يذبغي لنا ان ننساه ، ذلك هو عبدالله
الطالبي من أحفاد جعفر الطيار شقيق الامام

عليّ... لم يكن عبدالله هذا رجلاً احترِف الشعر
وأنا كان فارساً زعيماً ظهر بالكوفة فخلع طاعة
الأمويين ، فقاتله هؤلاء حتى ألبأوه الى بلاد
فارس حيث استقل بالسيادة امدأ من الدهر وُجِبي
له الخراج وهو بمدينة اصطخر. ولكن ابن هبيرة ،
والي الأمويين على العراق ، جرّد عليه حملة
أكرهته على الارتداد الى مدينة هراة . فلما
انقرضت دولة الأمويين أمر أبو مسلم الخراساني
بأخذه وقتله لأنه أبى الانصياع للعباسيين...
وأكبر الظن ان هذه الأبيات القليلة ، التي انحدرت
الينا عن عبدالله الطالبي في السجن فانتشرت في
الآفاق وخلدت شهرتها على الأجيال انما قالها
وهو سجين في هراة بأمر من أبي مسلم قبل ان

قرّ الرأي على قتله . ومن هنا كانت هذه
الأبيات تشتمل على لوعة ووحشة قلّ أن
عرفناها في شعر السجون لدى العرب . فقد
ينبغي لنا أن نذكر أن أبا مسلم الخراساني كان
حرباً على هؤلاء الأمويين الذين جرّد عبد الله
سيفه لحربهم . وقد ينبغي لنا أن نذكر أن دعوة
الشيعية ودعوة العباسيين كانت يومذاك واحدة
على الأمويين . فاذا توقع عبد الله الطالبي سجناً
واضطهاداً لثورته على بني أمية فهو من غير أبي
مسلم يتوقع هذا السجن والاضطهاد . ولذلك
غلبت على أبيات عبد الله تلك اللوعة والوحشة ،
وتلك الكآبة العميقة التي لا تدري من تناشد
بعد أن لقيت الشر من تنتظر منهم الخير فهي
إذاً تناشد المرء نسانية إطلاقاً :

ألا أحدٌ يأوي لأهل محلة

مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

وهذه أبيات عبد الله الطالبيّ بكل ما يتمل

فيها من حزن محرق وينساق معها من معنى
غريب .

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا دخل السجّات يوماً لحاجة

عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وتفرح بالرؤيا ، فجعل حديثنا

إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا

فإن حسُنت لم تأت عجلي وأبطأت
وان قبحت لم تحتبس وأنت عجلي
طوى دوننا الاخبارَ سجنٌ ممنوعٌ
له حارس تهذا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم نُدفن ونحن بمعزل
عن الناس لا نخشى فنُفْشى ولا نَفْشى
إلا أحد يأوي لأهل محلة
مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

والقارىء في غنى عن أن ندله على مكان
إسرار الجمال في هذا القصيد ، وعلى عمقه في تمثيل
نفسية أولئك السجناء الذين طغى عليهم صقيع
من القنوط صرع كل أثر للرجاء في صدورهم
فقله :

« عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا » وقوله :
« وتفرح بالرؤيا الخ ... » رائع حقاً تختلج له
أغوار الضمائر .

ولكننا نكرر ان هذا القصيد اذا توفر فيه
الالم والاغراب في المعاني فقد فاته حظه من
التحدي والتمرد على النحو الذي وجدناه في شعر
يزيد بن مفرغ ، وعلى النحو الذي نجده في شعر
شاعر عباسي ننتقل اليه الساعة هو علي بن الجهم .

علي بن الجهم

وكان ابن الجهم هذا عربياً من اهل بغداد
عاصر ابا تمام وتصافيا الود . وفيه يقول ابو تمام

أبياته المشهورة في رثائه :

أعليُّ يا ابن الجهم انك دفت لي
سماً وجمراً في الزلال البارد
لا تهلكن أبداً ولا تبعد ، فما
اخلاقك الخضر الربى بأبعد

ان يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد
او يختلف نسب يؤلف بيننا
ادب أقناه مقام الوالد

وبرغم رقة ابن الجهم والدماء التي تظهر على
غزله ، فلقد كان "مر" النفس صعب الشكيمة
عظيم الشجاعة . فلم يكن في طبعه ان يتحمل

ضغط السلطان ولا إدلاله . فوقعت النفرة بينه وبين الخليفة المتوكل فحبسه . ولقي ابن الجهم مصرعه في معركة عند حلب نشبت بينه وبين بعض الاعراب حين تعرضوا للقافلة التي كان مسافراً فيها سنة ٨٦٣ م (منتصف القرن الثالث للهجرة) .

وهي قصيدة رائعة تلك التي سبكها ابن الجهم يوم حبسه المتوكل تزخر أبياتها بقوة من عزيمة الشاعر وتشمخ بعلو من شمم روحه . وفيها مثال من أسلوب المناقشة الذي شاع في الشعر بشيوع الفلسفة في ذلك العصر مع تعمق في الفكر يبلغ بالشاعر ان يلمس العلاقة بين الازداد في الوجود وكيف ينقلب الضد الى ضد ويتولد

ضد من ضد .

لا ينسحق ابن الجهم تحت وطأة هذا السجن
الذي حاصره بجدرانہ وغمته بظلمته . لا ، ولا
يسترحم ولا ييأس . ذلك ما تمنعه منه نفسه
الآبيّة . ولكنه يحبّه الذين عثروه بالحبس فيقول
لهم : إذا حبست فهل رأيتم سيفاً لا يغمد؟ وهل
رأيتم اسداً لا يأوي الى عرينه كبراً بينا يسرح
او باش الحيوانات على الابواب لكسب القوت ؟
ثم يزداد الشاعر تعمقاً فيتهدي بشاقب فكره الى
منافع للسجن وظلمته ومنافع للعذاب ومحنته .
فهذا الحجر الصلد الذي تكن فيه النار لا تنقذ
ناره إلا بالحك العنيف وهذا البدر لولا أنه
ينحجب لما تجدد وعاد بهياً مشرقاً . وهذه الرماح

لولا انها تحمى بالنيران وتطرق لما استقامت ولما
أرهف سنانها . وهذا العيش احوال ، فمن نعيم
ومن شقاء ، ولربما كان شقاءه سبيلا الى نعيمه .
فلا سبب لليأس ما دام مع اليوم غد . ولا داعي
للخجل والشعور بالمرة ، ما دمت لم تحبس لدناءة
ارتكبتها .

وعلى هذا النحو يمضي ابن الجهم حتى يخلص
الى مخاطبة المتوكل وقاضيه احمد بن ابي دؤاد .
فلا يبخل عليها بكلمة مدح . ولكنه الى ذلك
يعاتبها عتاباً فيه تأنيب وتوبيخ ، ويطالبها
بالانصاف مطالبة من يعلم ان له حقاً . فيقول
للمتوكل : ما دمت ابن عم النبي محمد فأنت اولى
باتباع شرعته ، فلا تقبل بظلم الناس . ويقول لابن

ابي دؤاد : كيف قضيت علينا بشهادة من
حضر ونحن غائبون ، ولو اننا حضرنا لأظهرنا
لك الطريق الأقوم . وفي كل هذا معاتبة كما قلنا
بل تأنيب وتوبيخ . وفيه مطالبة بالانصاف يحبر
بها من يعلم ان له حقاً يتقوى به على هذا الافحام .

وهذه قصيدة ابن الجهم :

قالوا حبست ، فقلت ليس بضائري

حبسي وأي مهنة لا يغمد ؟

أو ما رأيت الليث يألف غيله

كبراً ، وأوباش السباع تردّد

والنار في أحجارها مخبوءة

لا تصطلي ما لم تُثرها الأزند

والبدر يدركه السّرار فتنبلي
أيامه وكأنه يتجدد
والزاغبيّة لا يقيم كعوبها
إلا الشّفاف وجذوة تتوقد
لا يؤيسنّك من تفرّج كربة
خطب اتاك به الزمان الأنكد
فلكل حال معقب ولربما
أجلى لك المكروه عما تحمد
صبراً فات اليوم يعقبه غد
ويد الخلافة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنيّة
شنعاء نعم المنزل المتورّد

بيت يحدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور، ويحمد !
أبلغ أمير المؤمنين ، ودونه
خوف العدا ومخاوف لا تنفذ
انتم بنو عم النبي محمد
أولى بما شرع النبي محمد
يا أحمد بن أبي دؤاد انما
تدعى لكل كريهة يا أحمد
ان الذين سعوا اليك بباطل
اعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبننا عنهم فتحكموا
فينا ، وليس كغائب من يشهد

لو يجمع الخصاء عندك منزل

يوماً لبان لك الطريق الارشد!

وقد عارض هذه القصيدة شاعر يقال له
عاصم بن محمد الكاتب حين حبسه ابن ابي دلف
المجلى القائد العبّاسي الشهير ، فلم يصنع في
معارضتها شيئاً ، وإنما ذكر بلاء السجن ونكد
العيش فيه وفرغ الى استجداء الصفح والمغفرة بما
لا يخرج عن المعاني التقليدية المتداولة .

وهنا فلنثبت ان ابن الجهم انما بلغ بقصيدته
ذروة المنهج الذي اختطه يزيد بن مفرغ في شعر
السجون في الادب القديم ، كما بلغ عبد الله
الطالبي ذروة المنهج الآخر الذي اختطه عدي

ابن زيد المنيادي . ويفترق المنهجان في ان احدهما
يقابل السجن والعسف بروح متعمدة متعجدة ،
بينما يقابله المنهج الآخر بروح منكسرة تلتبس
العفو والرضى .

ابن المعتز

ولابن المعتز ايضاً - وهو من العباسيين -
شعر في السجن يستحق ان ننوه به ، قال :
مرت بنا سحرّاً طيرٌ فقلت لها :
طوباك ، ياليتني اياك طوباك !

وما كان ابن المعتز يرغب في الخلافة ولكن
انصاره حملوه على قبولها بعد خلع المقتدر ، غير

انه ما كاد 'يبَّايَع' خليفة حتى وجد نفسه سجيناً،
ثم قتيلاً، فغشى شوقه اللاعج الى الحرية بهذه
المناجاة المؤلمة للصورة السائحة في الفضاء .

ابو الطيب المتنبي

واذا ذكر الشعراء الذين تمسوا بالسجن
ونظموا فيه فما ينبغي لنا ان ننسى في القافلة ابا
الطيب المتنبي على انه لم يعرف السجن حقيقة
يجدر به القائمة بقيوده الثقيلة إلا في الدور الاول
من حياته، وعوده لم يسلُب بعد، وعبريته لم
تتفجر ولم تصخب صخبها الاوقيانوسي... سجن
ابو الطيب على يدي لؤلؤ الاخشدي والي حمص،

ويقال انه كان قد ذاق السجن من قبل بالكوفة .
ولكن منها يكن من شيء فإننا نجد أبا الطيب
مقبلاً على سجنه بنفسه الذاهبة شموخاً في السماء .
وكان له سجان ، رجل يدعى أبا دلف يبدو انه
لطف بأبي الطيب إبان حبسه ، لأنه لقيه بالأمس
وصادقه . فنظم فيه أبو الطيب هذه الأبيات :

أهون بطول الثواء والتلف
والسجن والقيد يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برّك بي
والجوع يرضي الاسود بالجيف
كن ايها السجن كيف شئت فقد
وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكتاني فيك منقصة
لم يكن الدر ساكن الصدف !

ولقد يبحث المرء طويلاً عن شعر يصور هذه
المأساة المفجعة التي تُكره النفوس الكبيرة في
اوقات المحنة ، ان ترضى ما لا ترضاه في العادة ،
فلا يجد ما يشبه قول ابي الطيب :

« والجوع يرضى الاسود بالجيف » . ثم قد يبحث المرء
طويلاً عن شعر يمثل التحدي للأضطهاد فلا يجد
ما يضارع هذا الخطاب الذي فاه به ابو الطيب
بصيغة الأمر ووجهه الى السجن تعالياً واستخفافاً
اذ قال : « كن ايها السجن كيف شئت ! » . . .
وأما اعتذاره لنفسه بان السجن ليس منقصة لها

« ما دام الدر ساكن الصدف » فانه غاية الغاية في
الروعة .

غير ان ابا الطيب في هذا الدور المبكر من
حياته قَبِيل ان يجب عليه سجود الصلاة ، كما
يقول ، ما لبث ان ضاق ذرعاً بالسجن وباربه
الموصد وما لبث ان برم صدرأ بهذا القيد الذي
يعضه في رجله وهذا الهزال الذي يستبد بجسمه
الناحل ، فشكا ذلك كله الى الوالي واستعطفه
بكلام نسبته الى نفس ابي الطيب كنسبة مواء
القطط الى زئير الأسود :

أما لك رقيّ ومن شأنه
هبات اللجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجاء
والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء
وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النعال
فقد صار مشيها في القيود
تعجل في وجوب الحدود
وحدّي قبل وجوب السجود!

لكن ابا الطيب ان لم يتمرس بالسجن حقيقة
الا في هذا الدور من حياته ، فهزأ اول الأمر
بالقيد والسجّان وتحدى الاضطهاد ثم لانت
قناته وتحطم عنفوانه ، فأنه قد امتحن فيما بعد

- وهو نزيل مصر - بضرب من الاعتقال شرّ
من الحبس الحقيقي حين ضبطه كافور لا يأذن له
بالرحيل ولا يلي رغبته . وفي هذه المرة لم
يتحطم عنقوان أبي الطيب ولا لانت قناته بل
انشد في فترة هذا الاعتقال المعنوي قصائد ما
ردّ بمثلها شاعر ، ولا حرّض بمثلها شاعر في الادب
العربي القديم على حاكم اساء اليه .

نامت نواطير مصر عن ثعالبها
وقد بشّمن وما تفنى العناقيد
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن
يسيء بي فيه عبد وهو محمود
جوعانُ يأكل من زادي ويمسكني
لكي يقال عظيم القدر مقصود

أبو فراس الحمداني

يبقى شاعر واحد من شعرائنا القدامى
أورث في موضوع السجن قصائد 'كتب لها حظها
في الخلود فما يسوغ لنا أن 'نغفله. هو ذلك الأمير
الفارس أبو فراس الحمداني. إلا أن شأنه يختلف
عن بقية شعراء السجن في سالف الأدب العربي.
فإن أبا فراس لم يسجنه خليفته أو ملكه أو واليه،
بل وقع أسير حرب لدولة أجنبية هي الدولة
البيزنطية وذلك في منتصف القرن الرابع
للهجرة. وفي مدة من أسره، الذي طال نحواً
من سبع سنوات، سجنه البيزنطيون وأخشعوا
معاملته. وإشارة إلى ذلك يقول معاتباً ابن
عمه :

يا واسع الدار كيف توسعها
ونحن في صخرة نزلها

وليست هذه «الصخرة التي يزلها» أبو فراس
وأصحابه الا الاشغال الشاقة التي فرضت عليهم
او القلعة التي حبسوا فيها ، قلعة خرشنة او
القسطنطينية نفسها .

أمر أبو فراس ووراءه ام عجوز في منبج
حضنته يتيماً وفرغت له همها وقلبها فعلقها بما
لم يعلق ولد امه . وأسر أبو فراس وهو يستमित
في القتال تحت لواء الدولة الحمدانية واميرها
سيف الدولة ابن عمه . فكان اقل ما ينتظره ان
يسرع ابن عمه في بذل الفداء له كيما يعود الفارس

الى امه والى رفاقه في الجيش والى اخوانه في
مجالس الأدب فيستمع بالحياة - وهو ما يرح
فنى يهوى متع الحياة - ويواصل سيرته في الحرب
وهو القائد الشجاع .

سوى ان ابن عمه أبطأ وماطل في بذل هذا
الفداء ، ولم يصنع إلى شفاعة الأخوان ولا رحم
ضراعة الأم . ولأمر ما فعل سيف الدولة ما
فعل : فهل قصرت يده حقاً عن جمع المال لدفعه ،
أم رضي بتنحية أبي فراس على هذا النحو لئلا
يزاحم على الامارة ابن سيف الدولة وولي عهده
أبا المعالي ؟ لسنا ندري . ولكننا ندري ان ابا
فراس احس جرحاً ممضئاً يتفتح في دخيلة نفسه
لهذا الأهمال والتقصير من جانب ابن عمه .

واشتياق امه العجوز اشتياقاً محرقاً وحن الى
اخوانه وملاعب صباه ومسارح شبابه حنيناً
لاعجباً مثيراً فأرسل القصيدة تلو القصيدة الى ابن
عمه يشرح له سوء حاله في الاسر ويعاتبه عتاب
صاحب الدالة وصاحب الحق عليه . وأرسل
القصيدة تلو القصيدة يدعو فيها امه الى الصبر
والاعتصام بالايمان ، او يذكر به اخوانه الباعدين
والبعد جفاء .

ولعل ابلغ قصيدة صور فيها ابو فراس
شقاءه وشقاء اصحابه في الاسر ، وبلغ بها الغاية
في قوة العتاب ، لاميته التي مطلعها :
يا حسرة ما أكاد أحملها
آخرها مزعج وأولها

ومنها في عتاب سيف الدولة ولوميه على الحياة
الراقية التي يحياها بينا يشقى ابن عمه واصحابه
في اسرهم لدى العدو :

يا ناعم الثوب كيف تُبدله ؟
ثيابنا الصوف ما نُبدِّلُها !
يا راكب الخيل لو بصرت بنا
نحمل اقيادنا وتنقلها !
رأيتَ في الضر اوجها كرمت
فارق فيها الجمالَ أجملها
قد أثر الدهر في محاسنها
تعرفها تارة وتجهلها

وله قصيدة - او مقطوعة من روائع الشعر
الغنائي - يباهي بها الحمامة وقد سمعها من وراء
جدران سجنه تهدل هديلها الشجي الكئيب
برغم أن لها ملء الفضاء حرية ومدى انطلاق .
قال من هذه المقطوعة :

ايضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سال
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة
ولكنّ دمعي في الحوادث غال

وهكذا يبدو ان أبا فراس في هذا الشعر
الذي ارسله من الاسر إنما دار على المعاني التي
تنقر أوتار القلب وتثير الشجن وتناجي شعور

الشفقة . ومع ذلك فله التماعات خرج فيها على
هذا فلتناول ابن عمه بالتوبيخ الشديد لاهماله حقه
وحق صحبه ممن وقعوا في الاسر . فلنقرأ مثلاً
قوله :

انت سماء ونحن انجمها

انت بلاد ونحن اجبلها

انت سحاب ونحن وابله

انت يمين ونحن أئمنها

وانتا لتجد في هذه المعاني من نفح الرجولة
وقوة المحاسبة ، ما لا نجد في سائر شعر ابي
فراس . فمن عسى ان يكون سيد الدولة او غيره
من الحكام اذا هو فرط في حقوق رجاله وتخلي

عما يجب لهم عليه ؟ ومثل هذا المعنى كان ينبغي
لأبي فراس ان يُكثر منه وان يتوسع فيه خلال
روميّاته او قصائده التي نظمها في اسره وسجنه
لدى البيزنطيين .

خلاصة في شعر السجون في الادب العربي القديم

وهنا فلنمسك عند أبي فراس في هذا الملح
السريع الذي استعرضنا به قافلة من شعراء
السجون وشعرهم في ادبنا القديم . ولنلبث هنيهة
قبل النقلة الى الديوان الذي قصد بالذات من كتابة
هذه المقدمة ، ريثما نجمل تلك الاتجاهات التي اخذ
بها شعراؤنا القدامى ، مع ما اشتملت عليه تلك

الصفات والاتجاهات من نقص وابداع (أو مما
نعتبره نقصاً وابداعاً .)

فستخلص أول شيء انت أولئك الشعراء
الذين تمسوا بالسجون وقالوا فيها الشعر معبرين
عن خوالج النفس وسوانح الفكر مما يعرض في
هذا الجو وراء قضبان الحديد وفي سلاسل القيود ،
قد وقفوا موقفين وانقسموا فريقين :

فمنهم من وصف فئرون البؤس واثم ان العذاب
التي يعانيتها السجين ، وتنصل من كل ذنب وقبرا
من كل شبهة ، واقسم الأيمان المغلظة ، وطلب
الرحمة من حاكم يسجنه وحاكم يستطيع انقاذه
من السجن ، وشفع ذلك كله بروح سوداوية
متشائمة منسحقة مثلها له عبث الأشياء ومصيرها
الى الفناء .

ومنهم (من هؤلاء الشعراء) من تحدى السجن
والاضطهاد واثبت ان البلاء محك الرجال وان
الشدائد جلاء لجواهر اخلاقهم النفيسة ، وحاسب
الحكام الذين دفعوا به الى الحبس محاسبة عسيرة
وهددهم بدمغة العار التي تلحق ذكرهم من جراء
هذا الشعر الذي يهجوهم به ويقص سيرتهم في
الظلم والاستبداد . وهؤلاء الشعراء احب الينا .
وشعرهم في مذهبنا ابداع واروع . لأنه يفور من
معين هذا الغضب الانساني الشريف على الجور
والطغيان .

وهنا ينبغي لنا الاعتراف بان شعراءنا الذين
انتهجوا هذه الطريق في شعر السجون هم اقل عدداً .
وثمة نقص يبدو على شعراءنا القدامى ممن

نظموا في السجون فهو لاء جميعاً ، حتى حين يشددون
في محاسبة الحكام وفي إنذارهم لهم ، لا تراهم
يصدرون عن الشعور بأن اضطهادهم جزء من
اضطهاد شعب أو أمة ، ثم لا تراهم يستنصرون
هذا الشعب على ولاته المتعسفين . وقد يشذ
المتنبى عن هذه القاعدة في فترة اعتقاله المعنوي
في مصر . فانه ليخاطب المصريين وانه ليتوخي
ثورتهم على كافور ، ولكنه يتوصل الى غايته
بأسلوب عجيب اذ يلسعهم بسياط التقريع
والتحقير فيقنطهم من الخير في انفسهم بدل ان
يحبي فيهم الايمان بقدرتهم على التحرر وخلع نير
« العبد » .

وثمة ايضاً نقص هو ان شعراء السجون ممن

وصفوا فيها انعدام النور وثقل القيود والعفونة
والرطوبة وشدة التنكيل لم يخطر لهم ببال ان
السجون ما ينبغي لها ان تكون للانتقام ، حتى
من المجرمين ، ولكنها لإصلاحهم . فالسجين
حتى المجرم الذي يزج به في محبس وقاية للمجتمع
من خطره انما يحق له ان يعامل المعاملة التي تصلح
من امره وترده الى المجتمع رجلاً نافعاً . على ان
هذا المعنى — والحق يقال — اقرب الى ان
يعقله المصريون من ان يعقله الأقدمون . ولعل
اول من اثار هذا المعنى — ولو من بعد — هو
الشاعر معروف الرصافي في قصيدته « سجن
بغداد » فانه لا يدافع فيها عن سجين بالذات
ولكن عن قضية السجناء جميعاً ؛ يصور

تصويراً واقعياً ما يغمر هذا السجن من ظلام
وكثافة وحر وروائح نتنة ، ويعد ذلك من
الظلم الاجتماعي المنشب برائته في الأمة . ويعجبني
من هذه القصيدة الممتعة قول الرصافي :

زر السجن في بغداد زورة راحم
لتشهد للانكاد أفجع مشهد
هناك يود المرء لو قاء نفسه
واطلقها من أسر عيش منكد
مقابرُ بالاحياء غصت لحودها
بخمسٍ مئينِ أنفُسٍ او بأزيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى
فلم تكتحل من ضوء شمسٍ برود!

ثم ماذا ، بعد هذا الذي « حصدناه » خلال
العصور من شعر السجون في الآداب العربية ،
الا ان ننتهي الى هذا الحصاد الذي جمعه شاعر
واحد ، معاصر ، خلال ثلاثة واربعين يوماً تدرس
فيها بآفات السجن - وكدت اقول بوحى
السجن .

كان ذلك عام ١٩٤١ والحرب قائمة على قدم
وساق بين الحلفاء والمحور . واذا بي اسمع ان
صديقي أحمد الصافي النجفي قد اعتقل - اعتقلته
السلطات الحليفة التي دخلت سوريا ولبنان بعد
عهد الفرنسيين « الفيشيين » .
فأما التهمة الرسمية التي كان بها اعتقاله فإنها

شبهة النازية . وأذكر ان ذلك آلمني جداً لأنني
كنت ولن أبرح عدواً للنازية في أي الصور تمثلت
أو أحدثت . وبرغم أنني لا استطيع تأكيداً أنني
كنت ، أو أنني أنا اليوم ، على وفاق تام مع
صديقي الصافي في الرأي السياسي والمذهب
الاجتماعي والمفهوم بالقومية والوطنية ، فان ما
خبرته من الصافي خلقاً واحساساً وتفكيراً
وشعراً يخولني ان أشهد بأن معدنه النفسي أبعد
شيء عن معدن النازية . ولكن سلوك بعض
الدول الديموقراطية ، طوال الفترة بين الحربين
العالميتين : الاولى والثانية ، جعل عسيراً على
كثير من الوطنيين ان يبصروا النازية على حقيقتها
نكسة استعمارية وحشية تنزل بأهل الارض جملة

وبالحضارة عامة وبالشعوب المستضعفة خاصة ؛
نكسة استعمارية وحشية كتب عليها التاريخ الفناء
كما كتبه على كل استعمار . فاذا سمعت الشاعر
يُنشد اذن في ديوانه مثل هذا الشعر :
واشرفت من سجني على البحر قائلاً

من البحر يأتينا الخلاص او « البحري »
ورأيته يعلق على ذلك بان « الاستاذ يونس
البحري كان ينعش آمال القوميين العرب باذاعاته
عن برلين » فلا يغرنك هذا الدليل الشكلي على
« نازية الصافي » ولا تخلّ انك لمست لمس اليد
« الحقيقة التي تثبت الجرم » ، بل فتعمق الى ما
وراء الشكل والعن سلوكاً ديموقراطياً مزعوماً
كان من ردّ فعله مثل هذا الشعر وهذا المعنى .

بل فتقدم في هذا الديوان — أو الدويون
الذي يحلو لي تصغيره حباً واستلطافاً — تجسد
الشاعر وقد اشتدت وطأة الحرب في الجولة الأولى
على المستعمرين العريقين فلوحوا بالحرية للشعوب
المستضعفة ، ومنها نحن ، كيف يروعه هذا النفاق
نفاق الاستعمار العجوز في أزمته فينشد :

منحونا حرية حين 'مدّت

نحو أعناقهم يد الجزائر

فتدرك ان النازية لم تخرج في ضمير الشاعر
عن ان تكون جزاراً . ولكنه يقرّع المستعمرين
العريقين لأنه لا يرى في تلويحهم بالحرية — وهم في
مثل هذا المأزق وعلى شفا ذلك الجرف — الا
ضرباً من الكرم في « حالة الاحتضار » ، ثم لا

يرى في استنصارهم الشعوب التي استعمروها
واستغلوها الا نوعاً من « فرصة موت » يتيحونها
لتلك الشعوب اذ يستدرجونها الى الحرب .
والفرق بعيد بين هذا كله وبين النازية .

يبقى ان هذا الحصاد الذي حصده صديقي
الصافي من سجنه شهراً وثلاثة عشر يوماً هو حقاً
اغزر مجموعة ممانظم شاعر عربي في السجن ، وأنفس
مجموعة ، سعة معنى وغرابة خواطر وصور .

روى الصافي في هذا الشعر قصة نفسه وما
عرض في هذه الايام الثلاثة والأربعين التي قضاها
بين الجدران الموحشة رواية واقعية تتشع فيها
الحقائق بسربال الخيال ويمكن تقسيمها على
قصرها - ثلاثة فصول : يدور اولها على السبب

الأميل لدخول الشاعر السجن (وهنا يدرك
الشاعر ان مشكلته من مشكلة قومه) ، ويتعلق
ثاني قصورها بحياته في السجن ثم يسجنه في المستشفى
بعد مرضه ؛ وأما ثالثها فأبيات أرسلها في وداع
السجن .

وفي خلال ذلك كله تنتشر عبقرية الشاعر
لتلم بكل شيء مما يعاني حوله أو مما يتمرس به
في جسمه ونفسه أو مما يتصل بدواعي نزوله
هذه الغيابات . فيصف غرفته الواطئة السقف
التي « تحب في الضيف القصر » ويفتخر بسجنه
اذ « يقضي فيه حق اقوامه » ويعمل على تكسير
اصنام المستعمرين ويصف زملاءه في هذا القبر ثم
مرضه ونقله الى المستشفى وذلك الشرطي الذي

نُصب حارساً عليه ، كأنه اعلان على بابهِ ، ،
ويصور ثقل هذا الليل الذي يهبط عليه مرهقاً
موحشاً بين الجدران الاربعة ، المنضمة عليه
كطوق الحصار .

وانه لمن الدعوى الخائبة ان نحاول سكب
الجمال الذي تفيض به خواطر هذا الديوان وصوره
في سطور من نثر . فالشعر اذا فك نظامه سقط
موضع التعجب منه كما يشهد استاذنا الجاحظ .
بل لا يُغني استشهاده ببعض ابياته مها لطفت
وراعت فان الايماضة الخاطفة لا تقوم مقام
التأمل العميق والامتلاء الطويل . ولكن وجد
لنا العذر من قال : ما لا يدرك كله لا يترك جله ،
فنحن دالون إذاً على خصائص المتعة واسرار الفتنة

في هذا الديوان ، ورأسها تلك الروح الفكهة ،
التي تشعُّ في اجزائه فتبشّر من وحشة الجو
الذي يصوره الشاعر .

لا اعني ان عنصر الألم مفقود في هذا الشعر
فأنه ينفخ ألماً ويلفح غضباً لظلامه الشاعر وظلامه
قومه واستبداد المستعمرين . على ان الصافي مسح
على ذلك كله بالفكاهة والسخرية ، ولن نجد
كالفكاهة والسخرية علامة من علائم عافية
الروح وتحدي الاضطهاد والجور .

اصغ الى الشاعر يشرح لك حكاية هذه
المفاوضات التي يصح ان نسميها « مفاوضات
الدول الاربع » في سبيل الافراج عنه :

حكومة لبنان قد راجعت
فرنسا لفكي فلم تسطيع
وراحت فرنسا الى الانكليز

تراجعهم ، اجل من مرجع
وقد راجع الانكليز العراق

واليوم بالأمر لم يصمدع
فقلت : اعجبوا ايها السامعون ،

ويا ايها الخلق قولوا معي
امن قوتي صرت ام ضعفيهم

خطيراً على دول اربع ؟

فهذا من اوجع السخر الذي انطوى على
الجد ، وناهيك بالاستفهام التهكمي الذي يقبل

مفاجئاً في خاتمة الأبيات !

ثم اسمع قوله :

رمونا كالْبضائع في سجون

وعافونا ولم يبدووا أكثر أثا

رمونا في السجون بلا أثا

فاصبحنا لسجنهم ' أثا !

وهذا أيضاً من بديع التخيل الفكاهة الذي
يأخذ الظالمين بقهقهة موجهة لتكديسهم البشر
في سجونهم كأنهم أثا لها لا لحم ودم يحس
ويعقل .

ويعجبني من فكاهة الشاعر وسخريته
قوله :

حسبت لطول السجن اني في قبر :
فان يخرجوني منه آمنت بالحشر

فهذا الايمان بالحشر لهذه المناسبة ظريف
حقاً ، واطرف ما فيه انه يسوقه على سبيل
« اغراء » من سجنوه بأن يطلقوا سراحه ،
وهكذا تراه يعبث بهم هذا العبث الرائع .

والمتعة الثانية التي أنت واجدها في هذا
الديوان دقة الوصف وغرابة التخيل . خذ مثلاً
قصيدته « غرفة ام صندوق » ، وتأمل ذلك
التصوير الباهر للغرفة الضيقة وسقفها الهابط . ثم
تأمل ذلك التصوير « للشئنة » بعد ما بث فيها
حياة من حياته فهي تنطق ... تسأله متى

السفر : وهي تشكوه كربتتها وتبكي .
وناهيك بقوله :

تبكي بعين حالها

ودمعها قد استتر

كادت من الغبار ان

تفقد عيناها البصر

ثم خذ مثلاً آخر على دقة الوصف وغرابة
التخيل قصيدة « ألواح وأشباح » أو « ملحمة
السجن » كما سماها أو « معلقة السجن »
كما أسميا . والواقع انك اذ تبلغ هذه
المعلقة فقد حطت الرجل عند أبدع
تحف الديوان وعند أروع تمثيل وابلغ مناجاة
جادت بهما عبقرية شاعر عربي لليل في السجن ،

وللسجن في الليل ! وغبنٌ ان اجتزىء لك من
هذه القصيدة البيت والبيتين فان من حقها ان
تقرأ كاملة ، ثم تعاد قراءتها مرة ومرة ليتها هذا
الجو الصحيح من عمق التجاوب بينك وبينها ؛
هذا الجو الذي يستحيل من دونه ان ينصف
القاريء شعراً او شاعراً .

وبعد ... فكثيرة هي المتع والفتن التي انت
واجدها في هذا الديوان : متع معنوية وفتن
عبارية ، وهنا اوصيك ان لا تغرك البساطة في
اكثر نظم هذا الديوان فان من البساطة ما يكون
هو السهل الممتنع وهو السحر المحير . والصافي
اشعر شعراً من ان يزيّف نظمه لدى عينيك
بالزخرف كما يزيّف الخرز البراق بدعوى انه

الجوهر . يقول الصافي :

ألبست أشعاري لباسي ساذجاً
كي لا اخادع باللباس الرائي

لم استطع سبق الوري بزخارف
فسبقتهم ببساطتي الحسناء !

ما أصدق قول الصافي في نفسه ! ولقد
سبق لي اول اطلاعي على هذا الديوان
ان قلت لشاعره : « هذا شعر إن فاتني شرف
نظمه فلن يفوتني شرف نشره ! » فاذا بي الآن
وقد اكرهتني ظروف القاهرة على التنازل عن
شرف نشره ، أرى حسبي ان اقف بعتبة هذا
الديوان آخذ بأيدي رائديه الى داخل عتبة

الميكال وأبقى عندها. و يقيني ان رائديه سيقبلون
على الديوان كثيراً وسيوافقونني على قولي انه أغزر
مجموعة من شعر السجون لشاعر واحد في الأدب
العربي قديمه وحديثه ، بل أنفس مجموعة شعرية
في هذا الموضوع تشارك شعراء العرب في افضل
معانيهم في هذا الباب ثم تبذم على الجملة سعة
واغراباً وعمقاً .

فانك لو اجد في هذا الديوان قبساً من قوة
النفس ووميضاً من تحدي الاضطهاد وعزفاً حمساً
حاراً في تمجيد التضحية على مذبح الحرية ، ولن
تجد ذلك كله مجتمعاً لك عند شاعر واحد من
شعراء السجون في ادبنا قديمه وحديثه .
ولكنك - وهنا لا بد من التنويه بهذا

النقص — لا تزال تحس الشاعر فرداً ليس إلا ،
وان هو ادرك ان مشكلته من مشكلة قوم .
تحسه فرداً يألم ، وفرداً يغضب ، وفرداً يسخر ،
وفرداً يعبت ، وقل " ان قترأى لك من أمامه
أو ورائه ، او عن جانبيه أخيلة من شعب
تتحرك ...

فالصافي ما برح في هذا الشعر تغلب عليه
الغنائية الفردية .

على ان لهذه الغنائية الفردية روعتها ومنفعتها
ايضاً . فالقوت الروحي الذي يغذي فرداً
ليتقوى به على مجابهة الظلم جدير كذلك بأن
يغذي شعباً .

فإلى جنود الحرية في مشارق الناطقين بالضاد ،

الى اولئك الذين طالتهم او تطولهم ايدي الظلم
والاستعمار بالسجن والاضطهاد . إني أقدم هذا
الديوان لما يستطيعون أن يستمدوا منه من
عافية وقوة .

رئيف خوري

تكسير الأصنام ١

اهلاً بسجني لشهر او لأعوام
فأنما يوم سجني تاج أيامي
قضيتُ حرّاً ، حقوق النفس كاملة
واليوم في السجن اقضي حق اقوامي
ان يسجنوني فجرمي ياله شرفاً
أني احارب قوماً اهل إجرام
محمد كسر الأصنام شائخة
من لي بتكسيره لوردات ، كأصنام

يكفيهم' حطة أن ليس يتبعهم
منا سوى كل منحط ونمام
يا دولة يتساوى في نذالته
جنديها القدم في مندوبها السامي

غرفة السجن

سجنوني في غرفة قد تعرّت
فكأنني سجنّت وسط القفارِ
جاعلاً من ترايبها لي فراشاً
وغطاء يلفتني من غبار
ثم زادوا على الغبار غطاءً
من نسيج مضعضع منهـار
فاذا نمت يكتسي منه وجهي
بغريب الأصواف والأوبار

فتراني في الصبح امضغ شعراً
وترايباً برغم حلقي سار
فكأني أكلت نصف فراشي
وكأني شربت نصف دثاري
وكأني والصوف كلل وجهي
نوعٌ وحشٍ ما مر بالافكار !

طاب المرض !

ضاق بيّ السجن فقلت هل مرض
ينقذني من شر سجن قد أمض
لا غرو إن هو السجين مرضا
فمن رأى الموت حلا له المرض

لقد توقفت !

سجنت وقد مرّت ثلاثون حجةً
من العمر فيها للسجون تشوقت
سعى دعبل^١ للسجن طول حياته
فخاب ، وفي المسعى لسجني توقفت

١ - اشارة الى كلمة دعبل المشهورة. لقد مرت علي اربعون سنة وانا احمل خشبتي فلا اجد من يصلبني عليها .

قبر في الجوا

سجنوني في غرفة قد تعالت
واطلت على فسيح الفضاء
هي سجن وان تعالت، فسجني
قفص لي معلق في الهواء
قبري السجن صار، والقبر قبر
حفروه في الارض او في السماء

وداع الحرية !

من كوة السجن ألقى
نفسي بدون ثوانٍ
أودّع العيش حراً
ولو لبضع ثوانٍ

المشكلة العظمى !

قال الناظم هذه القطعة عندما اشتد عليه المرض في
السجن وكان الأنكليز يعللونه كل يوم بأنهم ابرقوا الى
حكومة العراق يسألونها رأيا فيه وقد مرت عليه سبعة
وعشرون يوماً وهو يستغيث من الداء وهم لا يسمحون
بنقله الى المستشفى ولما اشتدت عليه وطأة الداء انشأ هذه
القطعة :

سجنت وقد اصبحت سلوتي
من السقم ، عدتي للأضلع
اعالج بالصبر برح السقام
ولكن علاجي لم ينجع
اثاني الطبيب وولي سدي
وراح الشفيع فلم يشفع

وكم قيل مدد مدى الأقطار
ومها عراك فلا تجزع
وكم ذا أمد مدى الأقطار
فان زدت في مدّه يُقطع
ولما بكى ساجني رحمة
اجابوا التشفع للأدمع
ولكنهم صادفوا عقدة
بأمرى تعيي حجبى الألمي
حكومة لبنان قد راجعت
فرنسا لفكي فلم تسطيع
وراحت فرنسا الى الانكليز
تراجعهم جل من مرجع

وقد راجع الانكليز العراق
واليوم بالأمر لم يُصدع
فقلت اعجبوا ايها السامعون
ويا ايها الخلق ذلوا معي
امن قوتي صرت ام ضعفهم
خطيراً على دول اربع؟؟

وعندما اطلق سراحه علم ان الافراج عنه كان بمساعي
حكومة العراق في عهد معالي صالح جبر الذي كان وزيراً
للداخلية ووكيلاً للخارجية كما علم ان الانكليز لم يراجعوا
العراق بشأنه بتاتا ولكن حكومة العراق هي التي ضغطت
على الانكليز حتى اطلقوا سراحه فلها منه
الشكر والعذر .

سَيرٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ !

اليَوْمَ رُخِّصْتُ بِالصُّعُودِ إِلَى
السَّطْحِ وَعَوْدِي لِلسَّجْنِ تَسْهِيلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ سَعِدْتُ بِأَنْ
أَسِيرَ عَمَقًا إِنْ لَمْ أَسِرْ ظَوِلًا

من البحر او «البحري»؟

سجنت وكم في السجن مثلي من حرّ
يقابلنا السجان بالنظر الشر
وأشرفت من سجنني على البحر فائلاً
من البحر يأتينا الخلاص او «البحري»^١

(١) يشير الناظم الى صديقه الامتاذ يونس بحري الذي
كان ينعش آمال القوميين العرب باذاعاته من برلين .

القبر مشحون

لقد حاول السجانون وضع الناظم في غرفة مزدحمة هي قفص حقيقي على سطح ادارة الأمن العام الأفرنسية ولكن لحسن الحظ كانت الغرفة مزدحمة بالمساجين فلم يكن له متسع فيها فاضطروا الى وضعه في غرفة اخف منها بلاء واكل سكانا فقال :

راموا دخولي بسجن كان يخنقني
فعاقني عنه رهط فيه مسجون

كانوا يريدون لي دفنا فأنقذني
من محنة الدفن أن القبر مشحون

إما تاج واما سجن؟

سجنت وقبلي في العلي سجنوا أخي
وآمل في العلياء ان يسجنوا الأبناء
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد
لأبنائنا طراً نورثهم سجننا

يشير الناظم الى سجن اخيه المرحوم السيد محمد
رضا الصافي في ثورة العراق الاولى سنة ١٦١٩ تلك الثورة
التي انتهت بتتويج فيصل الاول ملكاً على العراق . وقد
فر الناظم آنذاك مع صديقه المرحوم معالي سعد صالح =

=رئيس حزب الاحرارحق بلغا حدود ايران فاتجه المرحوم
سعد صالح الى العمارة ومنها ذهب الى الكويت ثم عاد الى
العراق اما الناظم فقد ذهب الى ايران واقام في طهران
مدة ثماني سنوات وبعد وصوله الى طهران علم باعتقال
السلطات الانكليزية لأخيه وبعد ان قضى اخوه في السجن
خمسة اشهر، وقد وضع الانكليز المشنقة امامه تهديداً له لأنه
جعل بيته مركزاً لمؤامرات الثورة، اطلقوا سراحه. وقد
نظم خمسة أبيات في السجن يخاطب بها احد الزعماء وقد
زاره فيه. وبعد خروجه ارسل الابيات الخمسة الى اخيه
ناظم هذا الديوان وطلب منه تخميسها فخمسها في حينها
واعادها اليه فنشرها في مجلة «لغة العرب» للمرحوم العلامة
انستانس الكرملي وها هو الاصل والتخميس

العزم واليأس

انتا في سوى العلى ما رغبنا
نملأ الكون رهبة ان غضبنا

ما جزعنا للسجن يوم 'غلبنا
ان من رام مثما قد طلبنا
لا يبالي ان سيق للسجن سوقا

نحن قوم عن العلى ما قصرنا
حيثما دار كوكب العز درنا

واذا جار حادث الدهر جرننا

رخصت عندنا النفوس فثرنا

نطلب العز والعلی لا لنبقى

قد خلقنا دون الوری احرارا

وامتلكنا التيجان والامصارا

وجعلنا لنا المعالي شعارا

ولقد سامنا العدو احتقارا

فراآنا نستسبق الموت سبقا

إنّ ذلی موتی وعزی حیاتی

ما انثنت للعدو يوماً قناتی

انا فرع من دوحة المکرّمات

انا من اسرة کرام أباة

لا یرون الحیاة فی الذل أبقی

انا لما اسرت لم أبدِ ضعفا
لا ولم ارجُ من عدوي عطفًا
ولقد قلت والردى بي حفاً
شرعاً أن يكون موتي حتفاً
او أراني يكون موتي شنقا

سجن وانتظار

سجنوني شهراً بأقبح دارٍ
جمعت جحفاً من الأكدار
ثم قالوا هذا محل انتظارٍ
ليس سجنًا، فالسجن في غير دار
قلت الانتظار سجن؛ فسجني
يا لبؤسي مضاعف بانتظار

اثاث السجن

رَمَوْنَا كَالْبَضَائِعِ فِي سِجُونٍ

وَعَافَوْنَا وَلَمْ يُبَدُوا اكْتِرَاثًا

رَمَوْنَا فِي السِّجُونِ بِلا اِثَاتٍ

فَأَصْبَحْنَا لَسِجْنِهِمْ أَنَاثَا

الظلام المنير

أرى السجن بها اسود أفقاً كمنجم
حوى من بديع الماس تجلى النواظر
بكى صاحبي من ليل سجن، وسرني
بداجي ظلام السجن كلع' الجواهر

العلاج بالكي

حسبت لطول السجن اني في قبر
فإن يخرجوني منه آمنت بالحشر

فكم وعدوني بالخروج ولم تزل
عيوني مع الموتى الى موعد النشر

من العمر لا 'يحسبن' ايام' محبسي
وإن كان منها اليوم اطولاً من عمر

أموت وأحيا في يد الموت والرجا
فأخرج من قبر وادخل في قبر

يحدّد لي الآمال حارسٌ محبسي
فيوقف لي الآلام من حيث لا يدري
وكم قال لي صبراً على السجن ضيقاً
وكيف اصطبار الجالسين على الحجر
من اليأس داوى الناس بالكيّ داءهم
كذاك يداويني ذوو السجن بالصبر

سجين و طليق

قلل السقم من مسافة سيري
وأتى السجن لي فصارت اقلا
غير اني وان سجننت ففكري
سائح في الوجود والنفس جدي
واذا شئت سحت في النفس دهرأ
طائفاً ثم عالماً مستقلاً
ان يفتني كونٌ فلي من خيالي
الف' كونٍ يسمو على الكون فضلاً
لا تضيق السجون بالفكر رحباً
والفضا ضيق بين ضاق عقلاً

ان كل الاغلال في يد حرّ
لا تساوي في موثق الفكر غلا
فكري الحر أودع السجن جسمي
واعتزازي قد كلف النفس ذلا

فندق السجن

سجنت وطال بي سجنى وكم من

سجين جاءني يوماً وولى

كأنى رب نزل صرت ألقى

من السجناء اصحاباً وأهلاً

أودع في الضحى أهلاً كراماً

وادعو في المساء أهلاً وسهلاً

وأضحى الرفق بالسجناء دأبى

وتسليتي لهم همّاً وشغلاً

فيا ضيف السجنون كرمتم ضيفاً

ويا نزل السجنون قبحت نزلاً

وكم يوم نسيت السجن فيه
فذكرني به ضيف أطلا
طلبت مسلماً منه لهما
فلما ان رأى همي تسلى
ويوم كنت مسروراً بسجني
أرى السجنان فيه أخاً وخلاً
أتاني مشفقاً فبكى لما بي
فأبكاني فرحت أقول مهلاً
بربك لا تذكرني جروحي
فذكر الداء يُنكس من أبلاً
ألفت السجن حتى صار بيتي
وصارت بالخطوب النفس جذلي

كلمة في الأقفاص رغداً

فلا تذكر له روضاً وظلاً

ويوم كنت في سجنني وحيداً

فلم أحمل من السجناء ثقلاً

فقلت بحمد ربي صرت وحدي

أعيش ولو بسجنني ، مستقلاً

الجرم الشريف

حبست وضاق الحبس بي حين زج بي

الى غرفة ظلمات محكمة السد

فقلت علام الحبس ؟ لا انا سارق

ولا آثم عمداً ولا دون ما عمد

فجاء دنيُّ باع عز بلاده

ليشتري النزر الخسيس من الرِفد

أنى لابساً تحت السواد من الدجى

سواداً على قلبٍ ، سواداً على جلد

مسرعاً ينساب نحوي مباحثاً
كصلٍّ أتى من فوهة الحجر الصلد

وراح يصب السم من فيه ناقعاً
على أذنٍ تستقبل السم كالشهد

مضى شارباً ذنبي ، اذا الذنب أنني
خدمت بلادي ؛ قلت ويحك من وغد

فإنك قد ألبستني تاج سؤدد
وملكتني عرش الفخار بلا قصد

فيا لك من نذلٍ كريم تجود لي
بتاج العلي يزهو وقد عشت تستجدي

ولما رأيت الذنب خدمة موطني
حلا السجن حتى خلته جنة الخلد

اعلان الحرب

خسئت انكلترا، والله

أعمى مقلتيها

قبرها في كل ارض

حفرتها بيديها

سجنتني دون ذنب

غير لعني ابويها

أمنت حربي، وسجني

يعلن الحرب عليها

• موت المعتدي •

ولقد سجننت بكف أجبنِ امة
بالرجل تركض للمهات وباليد
ما رمت من سجنني الخروج مسارعاً
إلا لأنظر كيف موت المعتدي



غرنا بالسراب نمر دعاة
حين قالوا ، الانكليز 'عدول'

قلت ليت المغول ترجع يوماً
لترى ما جنته هذي المغول !

*

يصول الانكليز على ضعيف
ولا يبدون للخصم العنيف
هم المكروب في جسم البرايا
يفتش كي يحط على ضعيف

على أن لا يقال له سجن !

سجنت بقصر يشبه الخلد ، دونه

مناظرٌ جاءت حسبما يشتهي الفن

فأكلٌ وشربٌ وارتخاءٌ وكلٌ ذا

جميلٌ على ان لا يقال له ، سجن !

الآن طاب الشفق

حبست ولم اعلم بذنبي فاصبحت

لي الأرض في ضيق وضاق بي الأفق

ولما علمت الذنب خدمة موطني

حلا السجن في عيني وطاب لي الشفق

العقاب الضعيف

حبست فقص الحبس مني قوادماً
وأجنحة كانت ترف رفيفاً
وأثقل حبسي كاهلي فكأنني
تحملت طوداً للسماء منيفاً
ولما علمت الجرم خدمة موطني
رأى كاهلي حملَ الجبال خفيفاً
وقلت : عقابُ الحبس دون جرئتي
فجرمي يرى هذا العقاب طفيفاً
وقد ساءني ضعف العقاب لاني
تخيلت ان الذنب كان ضعيفاً

موسى وفرعون !

قد ضاق بي السجن لما جئته وبدت
لي المتاعب اشكالا وألوانا
ومرَّ عهدٌ فصار السجن لي وطناً
أرى به من ولاة السجن اخوانا
وجاء وقت فأولسوني مقالده
إذا السجين بأمرى كان من كانا
فقلت لله دهرى في تصرفه
قد طال سجنى حتى صرت سجانا
انا سجين وسجان فتشهد بي
عيسى وموسى وفرعوناً وهامانا

قاعدة السجن

خلا السجن هذا اليوم من كل ساكنٍ
سواي، كأني منه أسُّ بناءٍ

فجاء غلام السجن يبدي تعجباً
ويبغني من السجنان كشفَ بلائي

وقال له كل المساجين مُرّحوا
فقيم نرى هذا رهينَ ثواء

فقال له السجنان هذا الذي ترى
أبونا، فأورى شعلهً بدمائي

فقلت على رغم المروءة والعلی
أكون أبا السجنان والسجناء!

غرفة أم صندوق !

اقمت في السجن ، ويا
بئس السجون من مقر
في غرفة واطئة
تحب في الضيف القصر
يسير فيها راکماً
كل امرء فيها خطر
فهي لأقزام بني
الحيوان لا بني البشر
يمشي على اربعة
اذا بها الطويل مر

حان من يدخلها

يندس في جوف الحفر

ومن بدا منها تخا

له من القبر ظهر

كأنما السقف لضم

ارضها قد انحدر

فسقفها والارض شطران

تعالى من شطر

وسقفها غطاء من

نام ، وتاج من عبر

ينام سقفها على

من نام فيها واستقر

فسقفها الكابوس فوق
الصدر او طود حجر

تضايق الجالس فيها
ان تغطي أو زفر

ان شخر الضيف بها
تخال سقفها انفجر

فهي كصندوق بضا
عة ، ونحن المدخر

ضيقة ضاق بها
الفكر كما ضاق النظر

وجارُ ضبّ هذه
ام قبر جن محتر

رُمت منها ان أفر
وهل من القبر مفر
فهي سواء والردى
ورودها بلا صدر
دار انتحار هذه
كم امل فيها انتحر
قد مرّ لي شهر بها
كان من الموت أمر
و « شنتي »^١ تنظر لي
تسألني متى السفر

١ - الحقيّة .

تشكو اليّ ، مثلما
اشكو انا لها الضجر
ليس الغبار فوقها
من سفر بل من حضر
قد جلست في جانب
الباب جلوس المنتظر
مسجونة مثلي ولا
ذنب سوى ذنب القدر
قد سلبوا جوازها
منها فما لها ممر
طول النهار لا نزا
ل تبادل النظر

إِذَاهَا تَبْكِي وَأَنْ
لَمْ أَرَ دَمْعَهَا أَنْهَر
تَبْكِي بِعَيْنِ حَالِهَا
وَدَمْعَهَا قَدْ اسْتَر
كَادَتْ مِنَ الْغَبَارِ أَنْ
تَفْقِدَ عَيْنَاهَا الْبَصَرَ
رَمَتْ صَوَالِجَ الْقَدْرِ
بَنَّا كَأَنَّا أَكْر
فَهْلَ تَعِيدَ قَذْفَنَا
إِلَى أَمَاكِنِ الْآخِرِ
تَجَدَّدَ اللَّعِبُ فَنَرِ
مِينَا وَلَوْ إِلَى سَفَرِ

نصف مسلم !

أحارب جنس الانكليز لأنني
وقفت على نصر الحقيقة مخدمي

أحاربهم حربي لكل رذيلة
الى كل شيطان ، الى كل أرقم

اخاف اذا ماتوا ، تموت ابالس
فأبقى بلا لعني لهم ، نصف مسلم !

تحاربهم روحي وكفي ومنطقي
وان هم نؤوا قتلي يحاربهم دمي

يعشن يتامى !

وما كنت اخشى ان يفاجئني الردى
فاني حمام لا اخاف حماما
ولكنني اخشى اذا د الطبع ، لم يُعل
يتيمات اشعاري ، يعشن يتامى

ولما اشرف الناظم من شدة المرض على الخطر نقل الى
مستشفى سان جورج حيث رأى من العناية به ما يذكره
دائماً بالشكر وكان يبدل الشرطي المكلف بحراسته في كل
ست ساعات بحارس جديد فقال يصف الرقابة عليه في
المستشفى :

لا سلام ولا كلام !

ادخلني السجن في مصحّ
جميع اربابه كرام
لكنني قد منعت فيه
من ان يحبيني الانام
يشير طرفي لمن يحبني
أن لا سلام ولا كلام

ولا التفاتٌ ولا انعطافٌ
 ولا لحاظٌ ولا ابتسام
 منبوذ قوم الهندو احكي
 تقرُّبي للوري حرام
 أقيم في الباب لي « بليس »
 كي لا يُرى مني انهما
 لحاظه كلها سبابٌ
 ووجهه كله خصام
 ملازم لي بلا وداد
 كأنه دائي المقام
 فقلت ما ذاك لي مصح
 هذا هو السجن والسلام

اعلان على بابي

السجن امراض لي جسمي فصيرني
الى مصحح يداوي برح اوصابي

نسيت سجنني وبلواه فذكرني
به على الباب شرطي كهباب

اضحى يوجه لي الانظار عابرة
كانما هو اعلان على بابي

واصبحت نظرات الناس تشهد لي
أني سجين فتشجيني على ما بي

يرون لي بعيوت ملؤها هلع
كأنني رب إجرام وإرهاب
وان نظرت اليهم هرولوا فرعاً
كأنما انا ليثٌ، محبسي غابي

لا صدق ولا صديق !

فارق انكلترا طلاها

حتى بدا وجهها الحقيقي

للهند قد أمنت طريقاً

فدته بالصدق والصديق

فطارت الهند من وراها

وهي تحامي عن الطريق

فرصة موت !

دنا من الانكليز موتهم
فحرروا أنفساً اذلوها
لكي تقيهم حرباً مسعرة
أطار أحلامهم نلظيها
صاحوا بكل المستعمرين أتت
ساعة تحريركم فحيّوها
وراح يدعو لسان حالهم
فرصة موت ! فلا تضيعوها

بجلاء كرام !

حرّر الانكليز مستعمراتٍ

حين باتت على شفا الاخطار

كلما فرّ من يد الطفل طيرٌ

قال اطلقت له لوجه الباري

منحونا حرية حين 'مدّت

نحو اعناقهم يد الجزار

بجلاء ما دام فيهم حياة

كرماء في حالة الاحتضار

المضايقة !

"نقلت من "جون الى ميسير"

كدار الخلد ذي مرأى بهيج
ولكن أوثقوا في الباب كلباً
يضايق في الدخول وفي الخروج

حتى في الموت !

مات من التخمة جار لنا
وساقه الحرص الى حتفه
مثل في البيطنة انكلترا
اذ مات واللحمة في كفه

المنبر الخالد !

سجنوني دونما ذنب سوى

انني سامي المنى ، حذر سكرين

لا يضير السجن مثلي ان يكن

سبح في حرر حرير

ولئن أشق تكن

نبرأ يعلن رجم الانكليز

ملحمة السجن

أو

الواح وأشباح

أرى في غربة الإنسان سجنًا

فكيف يسجن إنسان غريب

يزور رهين سجن أهل قريبي

ولكني السجين بلا قريب

أبشّر عند فتح الباب نفسي

بأن ستفوز بالفتح القريب

١ - ليس هنا تكرار للقافية فان الاولى بمعنى قرابة

الرحم والثانية مقابل البعيد .

فمن لي ان أرى يأساً مريحاً

يخلصني من الأمل الكذوب

سأقتل حيّ آمالي سريعاً

وارجع منه ذا سيفٍ خضيب

فإنّ الخادع الآمال عقبى

تزيد مرارة القلب الكئيب

وان لو اجمع الآمال آآل

يزيد المحل في القفر الجديب

سيمسكني وقار اليأس كيلا

اراني لعبة الأمل اللعوب

واغضي عن سنا الآمال طرفي

وادخل ظلمة اليأس الرهيب

عَانِ أَشْعَّةَ الْأَمَالِ تَحْكِي

نَصَالًا وَاخْزَاتٍ لِلْقُلُوبِ

تَقْطُبُ لِي السَّمَاءَ بِالسَّحَابِ وَجْهًا

كَأَنَّ لَمْ يَكْفِ دُنْيَاهَا، قُطُوبِي

وَتَبْسُمُ لِي الْبُرُوقُ بِهَا وَكَمْ لِي

بِسُحُبِ النَّفْسِ مِنْ بَرْقِ خُلُوبِ

سَحَابٍ بَارِقَاتٍ بِالْأَمَانِي

وَلَكِنْ بِاخْلَاتٍ بِالسَّكُوبِ

تُسَامِرُنِي هُمُومِي فِي الدِّيَاغِي

وَيَطْرِبُنِي فُؤَادِي بِالْوَجِيبِ

فَكَمْ فِي السَّجْنِ مِنْ لَيْلِ غَضُوبِ

وَكَمْ فِي السَّجْنِ مِنْ يَوْمِ عَصِيبِ

وزاد عليّ ضيقَ السجن أني
حُرمت به من الخلّ الأريب
فأدعو الله تعجّلاً بفكّ
لسجني، أو بسجن فقّ لبّيب
تمنيت الزيارة من قريب
وان تك زورة الأجل القريب

خدّام السجن !

وُخدّام قساة اغبياء

ضعاف العقل اموات القلوب

اشاهد منهم الاطماع حولي

تدور تكاد تأكل لي جيوب

كأني ساكن قبراً أغدّي

به الحشرات من شق الضروب

كان عيونهم حشرات نهش

طلعن عليّ من خلل الثقوب

الجواسيس!

افتش لا ارى حولي حبيباً
وكم شاهدت حولي من رقيب
اجيل بهم عيون اخي وثوق
فألقى منهمُ نظر المريب
هم الخلان لي لا عن وداد
هم الأعداء لي لا عن ذنوب
نفوس قدرَ بين علي عيوب
فما يحسبُشْن بالأمر المعيب

ومن يُنمى الى عيب تحرّى
عيوب الناس يبحث عن نسيب
وكم قد غرني مرأى نجيب
بهم فنكبت بالمرأى النجيب
فما في برقهم الاّ عماء
وما في سحبتهم غير القطوب
سأبعد عنهم الآمال حتى
تجىء اليّ بالغدق السكوب

ليل السجن !

نهاري من عبوس السجن ليل^ه
وليلي الف ليل من كروبي
إذا مالت 'ذكاء' الى غروب
أرى نفسي تميل الى الغروب
افتش في ظلامي عن رجاء
فأدخل في ظلام من غيوب
وأبحث فيه عن حدس مصيب
فأعثر منه بالسهم المصيب

الا يا ليلُ لیتك لم تسارع
ولیتك ضمت في اقصى الدروب
ولیتك قد عثرت بلا مُقيلٍ
ولیتك قد دعوت بلا مجيب
ولیتك اذ عثرت، عراك كسر
برجلك لم يصادف من طيب
تسارع في خطاك الي شوقاً
مسارعة المحب الى الحبيب
وتلقي كل رحلك فوق صدري
وتجثم فوق قلبي كالخطوب
”تجد السیر منذ الصبح نحوي
فتهجم هجمة الأسد الغضوب

لبست من النهار الغض ثوباً
لتخفى عن عيون المستريب
أراك وانت في لونين تبدو
تسير من المغيب الى المغيب
كأنك حية رقطاء تزهو
بثوب دجى وثوب ضحى قشيب
تبدل ثوبها في كل ليل
لتجلو حسنها عند الحبيب
ألا يا ليل كم لك من شباب
وكم لك كل صبح من مشيب
تشيب بشيبك الاكوان، لكن
شبابك لا يُعيد شباب شيب

اقول بكل صبح سوف تفنى
متى ابصرتُ فحملك في هيب
اذا بالفحم ينضب باشتعال
وما لمعين فحملك من نضوب
ستبقى بعد ان تفنى شمس
الى ما شاء علام الغيوب
الا يا ليل كم لك من خطوب
وكم لك في الجوانح من ندوب
اتلبس مثل رهبانٍ ، مسوحاً
وقلبك قلب شيطان رهيب
فكم وسعت ثيابك من افاعي
هموم - مقلقات بالديب

وكم ضمت عقارباً من وشاة
بالسنة لوادغ للقلوب
وكم اخفت شروراً كالضواري
محددة المخالب والنيوب
فلو خلعوا ثيابك عنك ابدت
الينا كل انواع العيوب
يلوح إهابك الضافي ، ظلاماً
وُ يخفي شكل حيوان عجيب
فيا لك شكل حيوان عجيب
تضمن ألف حيوان غريب
كان الليل جبار عظيم
أصيب بألف مكروب مهيب

وما المكروب فيه سوى هوام
وآساد ووحش فلك وذيب
وإجرام واحقاد تنزّي
واوهام ودمع نوى سكيب
واحزان وإجرام ويسأس
وذكرى عاشق وكرى سليب
وأشباح وارواح وجن
وبوم مفزعات بالنعيب
أصيب بتلك الآفات لكن
صحيحاً عاش ذا عود صليب
ايا فيلا ، يمدّ بكل يوم
على الاكوان خرطوم الغروب

فیشرب كل نور ثم يُلقِي
'مُجَاجاً' لِلدُّجَّةِ وَالْخَطُوبِ
أَجَبَّارَ الظَّلامِ لَأَنْتَ عَبْدٌ
وَإِنْ أُوتِيتَ سُلْطَانُ الشُّعُوبِ
أَرَى 'حَرَّ النَّهَارِ' يَخَافُ مِنْ أَنْ
يُرَاكَ لَذَاكَ يَسْرِعُ بِالْهَرُوبِ
تَنَامُ عَلَى سَوَاعِدِكَ الْبِرَايَا
فَتَرْضَعُهُمْ بِمَسْمُومِ الْحَلِيبِ
وَتَغْمِرُهُمْ بِأَحْلَامٍ كَذَابٍ
وَتَسْقِيهِمْ مِنَ الرِّينِقِ الْمَشُوبِ
تَهْدِمُهُمْ بِصَمْتِكَ وَهُوَ يَحْكِي
زَيْبَرًا صَكَ أَسْمَاعَ الْقُلُوبِ

وَتَطْبِقُ جَفَنَهُمْ رَعْبًا لِيَغْفُوا
مَتَى قَابَلْتُ بِالْوَجْهِ الْغَضُوبَ
كَأَنَّ الْأَفْقَ شَدَقَكَ ، رَحْتَ مِنْهُ
تُكْشَرُ عَنْ نَجُومٍ كَالنِّيُوبِ
مُرَبِّي الْعَالَمِينَ لَأَنْتَ بَاقٍ
وَكَمْ خَنَقْتُ أَكْفَكَ مِنْ رَبِيبٍ
أَلَا يَا لَيْلٍ حَسْبُكَ لَيْلٌ سَجَنِي
وَحَسْبُكَ عَنْ كُرُوبِكَ لِي ، كُرُوبِي
كَرِهْتُ الْقَبْرَ بَعْدَ الْمَوْتِ سَجَنًا
وَعَفْتُ اللَّبْثَ فِي الْوَطَنِ الْخَصِيبِ
فَمَا أَرْضَى وَلَوْ فِي الْخَلْدِ حَبْسًا
وَلَوْ مَا بَيْنَ أَزْهَارٍ وَطَيْبِ

أُيحبس من يجرّم أي حبس
وكل مناه تحرير الشعوب
أحبس شاعر حر رقيق
تضايقه النساء بالهبوب
يرى من جسمه سجناً عليه
يكاد يمّ منه بالوثوب
رأيت السجن مجتمع الرزايا
ولا كالسجن للرجل الأديب
وكيف يطبق ضيق السجن حر
يفضيق به فضا الكون الرحيب

رهين المحبسين

رهينُ المحبسين، ضني وفقرٍ
وأحبس: جلّ ذلك من نصيب
لئن أسجن: فما الأقفاص إلا
لليث الغاب أو للعندليب
ألا يا بلبلاً سجنوك ظلماً
فنحت لفرقة الغصن الرطيب
كلانا من تألمه يغني
فتنعش صاحب القلب الطروب

لقد أصغى الخليُّ إلى غنانا
ولم يسمع به نغم النحيب
ولو أصغى لنغمتنا ملياً
لذاب بذلك النغم المذيب
ويا ليت الثرى سجنوك مثلي
لدُنْ خافوا واثوبك أو وثوبي
لئن كثرت للهباء ناباً
فأقلامي تكشر للحروب
كلانا صاحباً صمتٍ مهيب
كلانا صاحباً وجهٍ رَعوب
أدبٌ على الثرى ضعفاً، ولكن
أرى الجبناء يقلقهم دبيبي

تُراعِ حُلومهم لصدى عظام
ضئلات تقضضُ في جنوبي
أعّيس للضنى فيخيف قوما
عبوسي ثم يشحبهم شحوبي
فكيف بهم إذا سمعوا زئيري
وكيف إذا اكشر عن نيوبي

وهذه أبيات قالها عند خروجه من السجن:

إفراج كالسجن

كنت أخشى في السجن إن تأتِ بشرى
بفكائي ، أُصب لها بالجنون

اطلقوني من بعد ما اعتدت سجنِي
فكأنني مجدداً سجنوني

العقل كالجنون

شكرت ولادة سجن اطلقوني
وقلت هم ذوو خير ودين
وعدت اصب فوق العقل غيظي
لأن العقل أصبح كالجنون
أإطلاق السجين يُعدُّ خيراً
وَيُنسى شر إمساك السجين

الحرية إدام

من بعد سجن اربعين يوماً
كأنهن سجن الف عام

اصبحت إن اكلت خبزي حافاً
جعلت من حرיתי ، إدامي

الوفاء

رجعت الى سجنني رجوعي الى قبري
وفاءً لذكرى البؤس فيه مدى شهر
وقلت لعل الميت اذ يحشرونه
يعود وفاءً بالعهد الى القبر

حصاد السجون

... انه اغزر مجموعة من شعر السجون لشاعر واحد
في الادب العربي قديمه وحديثه ، بل أنفس مجموعة شعرية
في هذا الموضوع سعة معنى ، وغرابة خواطر وصور . .
تشارك شعراء العرب في أفضل معانيهم في هذا الباب ثم
تبذم على الجملة سعة واغراباً وعمقاً .

وانك لو اجد في هذا الديوان قبساً من قوة النفس ووميضاً
من تحدي الاضطهاد وعزفاً حماساً حاراً في تمجيد التضحية
على مذبح الحرية .

ولن تجد ذلك كله مجتمعاً لك عند شاعر من شعراء
السجون في ادبنا قديمه وحديثه كما اجتمع في ديوان
احمد الصافي النجفي ...

رئيف خوري